

نصري الجوزي والحركة المسرحية في فلسطين: قراءة في ذاكرته وأوراقه*

جابر سليمان**

”أنت تدرك جيداً أن الموت لا يهزم. لكن قيمة الإنسان ليست في النصر، بل في النضال من أجل صنع النصر.“

(كازنتزاكي، من كتاب: ”الرحيل“، ١٩٢٧)

إذا كان الموت لا يهزم حقاً، فذلك لا يعني البتة أن قدر الإنسان هو الانهزام أمام الموت؛ هذا ما تلخصه سيرة حياة الكاتب والأديب والمربي المقدسي نصري الجوزي، الذي ناء قلبه بسني عمره التي قاربت التسعين، فتوقف عن الخفقان يوم السابع عشر من آب/أغسطس ١٩٩٦، في منفاه الأثير في دمشق، بينما ظلت سيرة حياته الحافلة بالجد والعطاء والمثابرة شاهداً حياً يؤكد انتصاره على الموت، عبر انتصاره لحياة شعبه ووطنه وأمته.

قبل رحيله الفاجع بعام واحد تقريباً، التقيته في بيته المتواضع في حي القصاع/دمشق، وكان قد شفي تَوَّاً من كسر في ساقه أقعده في البيت فترة من الزمن، فوجدته على عهده دائماً؛ عالي الهمة، فتي الروح، متقد الذهن، لا يني يرسم المشاريع للمستقبل، ومنها كتابة سيرة حياته الكاملة. وكنت طلبت منه حديثاً للنشر عن دوره في الحركة المسرحية الفلسطينية والمسرح المدرسي بالذات، فرحب بالأمر على الرغم من وهن قلبه، ولم يبخل بالحديث. وتجاوزنا في موضوع المسرح على مدار ساعة، من دون أن يروي أي منا غلُّه. وكان بين الفينة والأخرى ينهض إلى مكتبته الغنية، مستعيناً بكتبه وأوراقه لتذكر واقعة أو تاريخ ما، معتذراً عن نسيان بعض التفاصيل. وتواعدنا على لقاء آخر، فعزَّ اللقاء...!

وربما هذا الحديث مع نصري الجوزي هو آخر حديث أُجري معه قبل رحيله.* وتشكل محاوره الرئيسية، إضافة إلى بعض الأوراق الخاصة التي زودني بها، أساس هذه المقالة.

* نصري الجوزي (١٩٠٨ - ١٩٩٦) من أبرز رواد الحركة الفلسطينية وأعلامها في فلسطين قبل أن تدمر الحركة الصهيونية المجتمع الفلسطيني في حرب ١٩٤٧ - ١٩٤٨.

** باحث فلسطيني.

* أُجريت الحديث في ٢١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٥.

أولاً: بيئة الكاتب الثقافية والسياسية

بدأ نصري الجوزي الكتابة للمسرح في أواخر العشرينات من هذا القرن.^(١) ولم تكن الحياة السياسية والثقافية في فلسطين خلال تلك الفترة معزولة عن تأثيرات النهضة التي شهدتها أقطار المشرق العربي، وخصوصاً النهضة التي شهدتها مصر بحكم موقع فلسطين كجسر للتفاعل بينها وبين سائر تلك الأقطار.

وفضلاً عن ذلك، كانت ملامح المشروع الصهيوني في فلسطين ومدى تواطؤ السياسة الاستعمارية البريطانية مع أهداف ذلك المشروع، قد بدأت تتضح في تلك الفترة.

وكان لنصري الجوزي، المسيحي العربي المقدسي، اطلاع واسع على التراث العربي/الإسلامي، الذي استوحى منه كثيراً من موضوعات مسرحياته، مثل: "أشباح الأحرار"، "لا أبيع أرضي"، أو تراث الآباء: "عمر بن الخطاب والعجوز"، "صلاح الدين الأيوبي"، وغيرها.

وعندما سألته عن هذا الموضوع بالذات قال: "جميع مكتبتي أو جلّ مكتبتي عن التراث العربي. كنت تقريباً أشتري كل كتاب يتعلق بالعرب وتاريخ العرب. في الصف الرابع درسنا كتاب تاريخ العرب لمحمد عزة دروزة، وقمت بتدريس هذا الكتاب فيما بعد لطلابي في المدرسة الوطنية الأورثوذكسية... ولي اطلاع واسع على الأدب العربي الذي علمته مدة طويلة في المدارس المتوسطة والثانوية." وقال لي بنبرة افتخار: "قد تستغرب إذا قلت لك إنني علّمت القرآن الكريم. وكان هذا في أعوام ١٩٣٩ - ١٩٤٣". وأضاف: "المناخ الثقافي في فلسطين لا يعرف التعصب الديني. ولم نكن نسأل إنساناً إن كان مسلماً أم مسيحياً، وما دام يدرّس اللغة العربية كغيره من الناس فهو عربي... وأصدقائي جلّهم كانوا من المسلمين، مثل: ياسين الخالدي، فايز الغول، عبد الجبار محمد، وغيرهم."

وحدثني في السياق ذاته عن تأثيره بعمه المرحوم بندلي الجوزي، صاحب العديد من كتب التاريخ العربي والإسلامي، مثل: "تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام"، "تاريخ المعتزلة"، "تاريخ الغساسنة"، وغيرها. ومما قاله: "في أثناء زيارته لفلسطين التي كان يقوم بها من روسيا، كان عمي بندلي يحضني على قراءة الكتب العربية القديمة، إضافة إلى الكتب التي تصدر في مصر... وكان يبين لي صراع الطبقات ويطلعني على التيارات الفكرية العالمية."

وحدثني أيضاً عن تأثير شقيقه الأكبر صليباً فيه وفي شقيقه: جميل وفريد

(١) كانت أولى مسرحيات نصري الجوزي مسرحية "الحق يعلو"، التي كتبها سنة ١٩٢٧ ومثلتها الفرقة المتجولة في ١٣ أيار/مايو ١٩٣٣.

وشقيقته هدى؛ إذ حَبَّبَ هذا الأخ إليهم قراءة الشعر والأدب والقصة والرواية، من خلال ما كان يجلبه إلى بيت الأسرة من كتب ومجلات، وخصوصاً تلك التي كانت تصدر عن "دار الهلال" في مصر.

وأكد نصري الجوزي فضل أستاذه المربي الكبير خليل بيدس عليه، في غضون تدريسه اللغة العربية في مدرسة المطران (القدس). وكان خليل بيدس يحبب إلى طلابه اللغة العربية، أو "أم اللغات" كما يقول نصري الجوزي. وقد أهدى إليه أستاذه عدداً كبيراً من مؤلفاته المترجمة من الروسية إلى العربية.

وسرد الجوزي لي قائمة طويلة من الكُتَّاب العرب ممن يعترف بتأثيرهم في تكوينه الثقافي، أمثال: طه حسين والعقاد والمنفلوطي وأحمد أمين وجبران وميخائيل نعيمة وأنيس الخوري المقدسي والأخطل الصغير ونقولا فياض وأمير الشعراء أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وشاعر القطرين خليل مطران. هذا فضلاً عن عدد من أدباء الإنكليزية والفرنسية أمثال: موباسان وموليير وبلزاك وإميل زولا وأندريه مورو وشكسبير وديكنز وبرتراند راسل، وغيرهم. وكان مطالعاً أيضاً على الآداب اليونانية القديمة والآداب الروسية.

ثانياً: الحركة المسرحية في فلسطين

يقول يعقوب لاندان في كتابه عن تاريخ المسرح والسينما العربية: "على الرغم من كل شيء، فقد كان للعرب من الفلسطينيين تحت حكم الانتداب البريطاني مسرح خاص بهم يتخذ في قالبه، إلى حد كبير، نمط المسرح في مصر. إلا إن هذا لم يمنع بعض كُتَّاب المسرح المحليين من تأليف عدد معين من المسرحيات التي طُبِعَ القليل منها فقط. وخصوصاً ما كتبه نصري الجوزي وجميل البحري."^(٢)

ويرى نصري الجوزي نفسه أن هناك أربعة عوامل أثرت في النهضة الفنية المسرحية في فلسطين. وهي:

– المدارس الوطنية والأجنبية.

– الفرق المصرية التي كانت تزور المدن الفلسطينية في الفترة ١٩٢٥ – ١٩٣٢

وما بعدها.

– الإذاعات الفلسطينية: إذاعة القدس وإذاعة الشرق الأدنى، وخصوصاً إذاعة

القدس التي أشرف على إدارتها علّمان من أعلام الأدب العربي هما: الشاعر إبراهيم طوقان (١٩٣٦ – ١٩٤٠)، والأستاذ الكبير الأديب عجاج نويهض (١٩٤٠ – ١٩٤٤).

– الأندية والجمعيات الفلسطينية.

(٢) صدر الكتاب سنة ١٩٧٢، وعنوانه الأصلي: *Studies in Arab Theatre and Cinema*، وقد ترجمه إلى العربية أحمد غازي تحت عنوان: "دراسات في المسرح والسينما عند العرب".

أ) المدارس الوطنية والأجنبية

يقول نصري الجوزي: كان أستاذي خليل بيدس يقرر التمثيليات التي يرغب طلاب مدرسة المطران الإنكليزية في تمثيلها. وكثيراً ما كان يرفض موضوعات لا تتلاءم مع البيئة العربية الفلسطينية.

ومن الروايات التي اختارها وأشرف على تمثيلها وإخراجها في الفترة ١٩٢٤ - ١٩٢٨:

- "السؤال ووفاء العرب"، تأليف أنطون الجميل.

- "السلطان صلاح الدين ومملكة أورشليم"، تأليف فرح أنطون (١٩١٤).

وقد تناول المؤلف في هذه الرواية جانباً من حياة البطل العربي صلاح الدين، حين كان يعد العدة لمعركة حطين.

وأكد نصري الجوزي أن خليل بيدس كان حريصاً كل الحرص على أن يتقن الطلاب اللغة العربية قبل إتقان التمثيل، فكان يقول لطلابه ما معناه: حافظوا على لغتكم العربية وتراثكم العربي، فهناك من يحاول طمسهما. وأنه كان يشدد على مقاطع الكلمات وحركات الإعراب تشديداً لا يقبل الهوادة واللين، ويطلب من الممثل أن يعيد الجملة مرات ومرات حتى يتقنها.

ومن المدارس الوطنية التي ساهمت في نهضة المسرح، ذكر نصري الجوزي مدرسة "روضة المعارف" لمؤسسها المرحوم الشيخ محمد الصالح. وقال: ما يحضرني من المسرحيات التي قامت هذه المدرسة الوطنية بتمثيلها (١٩٢٧ - ١٩٢٨) مسرحية "عبد الكريم الخطابي"، وهي مسرحية وطنية تندد بالاستعمار الإيطالي للمغرب العربي وتشيد ببطولة الخطابي. وقد أثار تمثيل هذه المسرحية غضب السلطات البريطانية الحاكمة.

ب) الفرق المسرحية المصرية

من الفرق المسرحية التي كانت تزور فلسطين في الفترة ١٩٢٥ - ١٩٣٢، ذكر نصري الجوزي: فرقة جورج أبيض؛ فرقة رمسيس (أسسها يوسف وهبي سنة ١٩٢٣)؛ فرقة نجيب الريحاني.

وقال: كان لـ (شخصية) الريحاني (كشكش بك) تأثير كبير في الممثلين الفلسطينيين، كما أخذ عدد من الممثلين الفلسطينيين يقلد يوسف وهبي وجورج أبيض وعزيز عيد وأحمد علام وأمينة رزق وفاطمة رشدي، وغيرهم.

وحين سألته عن مشاركة الممثلين الفلسطينيين في الأعمال المسرحية التي كانت تقدمها الفرق المصرية في فلسطين أجاب: "في كثير من الأحيان كان ينقص هذه

الفرق ممثل أو أكثر، فكانت تستعين بالممثلين الفلسطينيين لسد النقص.

ج) الإذاعات الفلسطينية

يقول نصري الجوزي: قام الأستاذان الفاضلان إبراهيم طوقان وعجاج نويهض بدفع عجلة المسرحية الإذاعية إلى الأمام، فساعدوا في التأليف والترجمة والاقتراب، كما اهتموا اهتماماً بالغاً بقواعد اللغة العربية وآدابها، ولفتا نظر كتاب المسرحية إلى تراث الأباء والأجداد.

وأكد في هذا الصدد أن فرقة الجوزي مثلت عبر إذاعتي القدس والشرق الأدنى نحو ١٢٠ فصلاً تمثيلاً، مدة الواحد منها نصف ساعة.

ومن الأمثلة للمسرحيات التي قدمتها الإذاعة "فؤاد وليلى"، التي كتبت سنة ١٩٣٠ ومثلتها فرقة الجوزي في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦، وأذيعت من محطة الإذاعة الفلسطينية (القدس) في ٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٧.

د) الأندية والجمعيات الفلسطينية

يقول نصري الجوزي: أدى إدخال بعض المدارس الوطنية والأجنبية مادة التمثيل ضمن برامجها التعليمية، ومجيء الفرق المسرحية المصرية إلى فلسطين، إلى تشجيع تأسيس الأندية والجمعيات الأدبية والتمثيلية مثل: المنتدى الأدبي في مدينة القدس، الذي أسسه المرحوم جميل الحسيني.

وقد قام هذا المنتدى، بحسب ما يذكر نصري الجوزي، بتمثيل رواية "صلاح الدين"، وحضرها وقتئذ نوري السعيد وجعفر العسكري، اللذان كانا يزوران القدس. كما أنه أخرج المسرحيات التالية: "السموأل" و"طارق بن زياد" و"هاملت"، وغيرها. وكانت الأدوار النسائية تُسند إلى شبان صغار.

ثالثاً: رواد الحركة المسرحية في فلسطين

يحدثنا نصري الجوزي عن رواد الحركة المسرحية في فلسطين ممن عاصروه أو سبقوه إلى هذا الميدان:

من الذين ساهموا في التأليف المسرحي ونشروا فكرة التمثيل، يذكر الجوزي الأرشمندرت استيفان جوزيف سالم، المولود في مدينة الناصرة سنة ١٩١٣، والمجيد للغات اللاتينية والإيطالية والفرنسية والإنكليزية. وقد تسلم إدارة مدرسة الأرض المقدسة "تراسانتا" في القدس، ثم أدار ثانوية الأرض المقدسة في اللاذقية سنة ١٩٤٦.

ومن المسرحيات التي ألفها الأرشمندرت استيفان سالم: "السجناء الأحرار" (٤)

فصول): "غرام ميت" (فصل واحد): "قبلة المحبة" (فصلان): "صراع بين العلم والإيمان" (فصل واحد): "صديق حتى الموت" (٣ فصول): "يوم الجيش" - للأطفال - (فصل واحد): "دقت الساعة يا فلسطين" (فصلان): "الموسيقى خير علاج" - مسرحية هزلية - (فصل واحد).

ومن الرواد الذين كتبوا للمسرح الفلسطيني، جميل حبيب البحري من مدينة حيفا، صاحب مجلة "زهرة الجميل" (أسسها سنة ١٩٢١).

ويقول الجوزي إن روايات البحري التمثيلية لقيت إقبالا كبيرا، وجرى تمثيلها في فلسطين وفي معظم الأقطار العربية. ومن مسرحياته التي كتبها بين سنتي ١٩٢٠ و١٩٣٠: "سجين القصر" (٥ فصول): "قاتل أخيه" (٥ فصول): "في سبيل الشرف" (٥ فصول): "أبو مسلم الخراساني" (٣ فصول): "الخائن" (٥ فصول): "زهيرة" (٥ فصول): "وفاء العرب" (٣ فصول): "حصار طبريا" (٣ فصول).

ويذكر الجوزي أن مسرحيات البحري تخلو عادة من الأدوار النسائية، لا اعتقاده أن روايات الغرام لا تصلح لأن تمثل على مسارح المدارس، مهما تكن نبيلة وشريفة. ومن رائدات الكتابة للمسرح في فلسطين، يذكر الجوزي الأديبة الفلسطينية أسمى طوبي، ويقول إن لها عدة مسرحيات كتبت ومثلت في فلسطين ولبنان في الفترة ١٩٢٥ - ١٩٣٠، وهي: "نساء وأسرار": "صبر وفرج": "أصل شجرة الميلاد": "مصرع قيصر روسيا".

ولا ينسى نصري الجوزي أن يذكر من رواد المسرح أخاه الأكبر صليبا الجوزي، أحد مؤسسي المنتدى الأدبي في القدس. ويقول في هذا الصدد: ظهر في مدينة القدس في الفترة ١٩٢٢ - ١٩٢٧ شاب جريء هو صليبا الجوزي أخذ، بالاشتراك مع بعض العوائل الفلسطينية المتنورة، يقيم الحفلات الموسيقية الغنائية التي تتخللها فصول تمثيلية تعالج مشكلات المجتمع الفلسطيني. وقد شارك في هذه الحفلات عدد كبير من السيدات والآنسات المتعلمات.

ومن المسرحيات التي ألفها بلغة سهلة سلسلة:

- "لا بد للحب أن ينتصر": وهي أوبريت من ثلاثة فصول تتحدث عن الصراع بين الحب والمال.

- "أمي": مثلتها وغنت أدوارها سيدات وأنسات نادي الشابات الأورثوذكسيات، ومثلت خصيصاً للسيدات المسلمات على مسرح "روضة المعارف"، كما مثلت للعموم على مسرح "تراسانتا". وتمجد هذه الأوبريت فضائل الأم وتضحياتها. وقد لقيت نجاحاً كبيراً لدى عرضها.

وهناك أيضاً جميل الجوزي، الأخ الأصغر لنصري الجوزي (مواليد سنة ١٩١٥)،

الذي كان له فضل كتابة التمثيلية الإذاعية وتقديمها عبر إذاعتي القدس والشرق الأدنى (١٩٣٦ - ١٩٤٨). وقد أسس الفرقة التمثيلية العربية لجمعية الشبان المسيحية في القدس، ومن مؤلفاته المسرحية: "السبحة وتمثيلات أخرى" (مترجمة عن الإنكليزية)؛ "القدس" (١٩٥٢)؛ "الزوجة الخرساء وتمثيلات أخرى" (دمشق، ١٩٧٩)؛ "غرام أعمى وتمثيلات أخرى" (دمشق، ١٩٨٤).

وينضم إلى كوكبة الإخوة صليبا ونصري وجميل، فريد الجوزي، أصغرهم سنًا. وقد شارك فريد فرقة الجوزي في التمثيل المسرحي والإذاعي، ثم أسس فرقة "إضحك". ويذكر نصري الجوزي أن شقيقه فريد قام بتقديم نحو ٤٠ - ٥٠ مسرحية هزلية منها: "التليفون"؛ "الصعلوك"؛ "النسوان في إجازة"؛ "رزق الهبل على المجانين"؛ "الكنة والحماة"؛ "أم نبيه"، وغيرها.

رابعاً: نصري الجوزي والمسرح المدرسي

يقول نصري الجوزي: عندما بدأت التعليم سنة ١٩٣٢، كنت أعلم اللغة العربية للصفوف الابتدائية، ولاحظت أن المدارس في فلسطين تحتاج إلى حركة مسرحية، فقامت بتأليف المسرحيات ذات الفصل الواحد أو الفصلين. وقد استقيت مسرحياتي هذه من الأدب العربي وقصص العرب، ومن الحالة الاجتماعية التي كنا نعيشها في فلسطين.

وأهم المسرحيات التي كتبها لهذا المسرح في الفترة ١٩٣٢ - ١٩٤٨ هي: "جابر عثرات الكرام"؛ "أنا لا أحارب من أجل عمر"؛ "عيد الأم"؛ "الطرف الثالث"؛ "عمر بن الخطاب والعجوز"؛ "عمر بن الخطاب وفتح بيت المقدس"؛ "صلاح الدين الأيوبي"؛ "الطالب النجيب"؛ "لا أبيع أرضي، أو تراث الآباء"؛ "ذكاء القاضي".

وقد طبعت المسرحية الأخيرة "ذكاء القاضي"، أول مرة في فلسطين سنة ١٩٤٥، وطُبعت مرة ثانية سنة ١٩٤٧، ثم أعيدت طباعتها في دمشق ضمن "السلسلة التمثيلية للطلبة" سنة ١٩٤٩، ومرة أخرى سنة ١٩٧٠، ضمن "السلسلة المسرحية للطلبة" مع مسرحيتين أُخريين هما: "عيد الجلاء" و"العدل أساس الملك".

وقد مثلت مسرحية "ذكاء القاضي" نحو عشر مرات في معظم المدن السورية.

ويبين نصري الجوزي أهمية المسرح المدرسي، إذ يقول في مقدمة الطبعة الأولى لهذه المسرحية: "في اعتقادي أن الرواية المدرسية أفضل بكثير من جُل الكتب المدرسية الجامدة، التي تُدرس في مدارسنا، فالطالب مليء بالحياة زاحر بالحركة والنشاط. والرواية تحقق رغبته وترضي حيويته وتعبّر عن كثير من ميوله الأخلاقية والأدبية والوطنية، بينما الكتاب الذي بين يديه بعيد كل البعد عن محيطه وبيئته وأفق تفكيره. هذا عدا أن الرواية المدرسية تعلمه اللغة العربية أسهل من أي كتاب مدرسي آخر، إذ

إنها تعود الحفظ وتدربه على النطق الصحيح، وتخلق فيه روح المنافسة لإتقان لغة آبائه وأجداده."

خامساً: فرقة الجوزي وأبرز أعمالها المسرحية

كتب نصري الجوزي وأبدع في الجو العائلي الحميم الذي وفرته له الفرقة، التي كانت تضمه إلى جانب أشقائه صليبا وجميل وفريد، وأفراد آخرين من العائلة. وقد أسست فرقة الجوزي سنة ١٩٣٦، وكانت، كما يقول نصري الجوزي، أول من أذاع فصولاً تمثيلية من محطة إذاعة القدس ومحطة الشرق الأدنى في يافا. ومن أبرز المسرحيات التي قدمتها هذه الفرقة: "فؤاد وليلي"؛ "لا أبيع أرضي، أو تراث الآباء"؛ "شبح الأحرار"؛ "الشموع المحترقة".

وذكر نصري الجوزي لي أن مسرحيتي "شبح الأحرار" و"الشموع المحترقة" حظيتا بالنجاح الأكبر بين جميع مسرحيات الفرقة، فسألته عن مضمون هاتين المسرحيتين، وخصوصاً مسرحية "شبح الأحرار"، فقال:

عرضنا مسرحية شبح الأحرار على مسرح جمعية الشبان المسيحية في القدس سنة ١٩٣٥. وتدور أحداثها حول بيع أحد ملاك الأراضي الكبار قطعة من الأرض للمستوطنين اليهود. وكان لهذا المالك ابن يتعلم في الجامعة الأميركية في بيروت. وعندما يعلم الابن بالأمر يترك جامعته فوراً ويعود إلى فلسطين ليمنع والده من بيع الأرض.

وبينما كان الأب والابن يتحاوران بشأن الموضوع، يظهر فجأة ثلاثة أشباح، الواحد تلو الآخر: عمر بن الخطاب، خالد بن الوليد، صلاح الدين الأيوبي، فيخاطب هؤلاء الأب مذكرين بالتضحيات التي بذلوها لتأسيس مملكة عربية قوية، وكيف أنهم تغلبوا بفضل تضحياتهم على أكبر إمبراطوريتين في ذلك الزمان، أي إمبراطوريتي الروم والفرس.

ولدى سماع الأب صوت الأشباح يثوب إلى رشده ويرتدع عن بيع الأرض. وأخبرني نصري الجوزي أنه تعرض في إثر عرض المسرحية للاعتقال على أيدي سلطات الانتداب البريطاني، فهرب إلى إحدى القرى القريبة من القدس، واختبأ عند مختارها، وهو من أصدقائه. وبقي هناك أسبوعاً حتى سويت المسألة، وعاد إلى ممارسة مهنة التعليم.

وعقب تجاوب الناس مع هذه المسرحية تجاوباً كبيراً، أدخل نصري الجوزي عليها بعض التعديلات، وطلب من السلطات الإذن في تمثيلها في القدس، فرفض طلبه هذا.

وقال لي في هذا الصدد: كان عارف العارف يومها قائم مقام القدس ورام الله. وقد أوعز لي أن أمثل المسرحية في رام الله، فمثلناها يوماً واحداً. وفي إثر ذلك، جاءت السلطات البريطانية لاعتقالنا، فأوعز لنا عارف العارف أن نهرب. وهكذا عدت مرة أخرى إلى قرية صديقي المختار حتى قام عارف العارف بتسوية الأمر مع السلطات المختصة.

وذكر نصري الجوزي لي أيضاً أن هذه المسرحية عرضت في عمان سنة ١٩٤٨، وفي إربد سنة ١٩٥٢.

أمّا مسرحية "الشموع المحترقة"، فموضوعها مختلف تماماً؛ إذ تعالج مسألة اجتماعية خلقية، وتحكي قصة أب مستهتر يسافر إلى الخارج ويعود لينقل إلى ابنته مرضاً خبيثاً يتسبب بموتها، الأمر الذي يؤدي إلى ندم الأب وشعوره بعقدة الذنب.

وقال نصري الجوزي لي: مثلنا هذه المسرحية سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٤٨ في جمعية الشبان المسيحية في القدس. وفي بيت لحم سنة ١٩٣٩، وفي يافا سنة ١٩٤٢ وسنة ١٩٤٧، وفي إربد وعمان سنة ١٩٥٢. وأضاف: بصورة عامة أستطيع القول إن مسرحية "الشموع المحترقة" مثلت أكثر من عشرين مرة في الفترة ١٩٣٦ - ١٩٤٧.

وفي اعتقادي أن سبب شهرة هاتين المسرحيتين إنما يعود إلى موضوعيهما اللذين عكسا مباشرة طبيعة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التي مرت فلسطين بها آنذاك.

فمن جهة، أدت قوانين الأراضي التي سنتها حكومة الانتداب البريطاني، فضلاً عن تردي أحوال الفلاحين الاقتصادية، إلى تسهيل عملية انتقال الأراضي إلى أيدي المستوطنين اليهود، عبر طبقة الأفندية وكبار الملاك، ولذا أضحت مسألة بيع الأرض خطراً داهماً على المجتمع. ومن جهة أخرى، أدت ظروف الضائقة الاقتصادية، التي مرت فلسطين بها قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، إلى هجرة واسعة إلى أوروبا وأميركا، الأمر الذي أدى إلى انفتاح شرائح اجتماعية معينة على قيم خلقية وعادات غير منسجمة مع القيم التقليدية للمجتمع الفلسطيني.

ومما يؤكد مركزية مسألة الأرض في الوعي الشعبي وفي وعي أعلام الفكر، معالجة فرقة الجوزي هذه المسألة مرة أخرى في مسرحية: "لا أبيع أراضي، أو تراث الأباء": هذه المسرحية التي كتبها نصري الجوزي سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ مستوحياً أحداثها من زمن الخليفة المأمون، والتي يقول إنها أثارت غضب السلطات البريطانية.

ويذكر نصري الجوزي أنه طبع هذه المسرحية ثلاث مرات، مرتين سنة ١٩٤٦، ومرة واحدة سنة ١٩٤٧، وأنه باعها من البنك العربي، الذي وزعها وشجع على تمثيلها في القرى الفلسطينية، من أجل التنبيه إلى خطورة بيع الأراضي.

بدلاً من الخاتمة: رماد الذكريات

رحل نصري الجوزي قبل أن يمهل الموت كي يفني بوعدده في لقاء آخر، كنا اتفقنا على أن يخصصه لذكرياته الحميمة مع أعلام الثقافة والفكر في فلسطين قبل النكبة. وحكى لي حينها بعدوبة الطفولة عن لقاءه الأول منذ النكبة مع صديق عمره الشاعر الكبير حنا أبو حنا، خلال مهرجان أقامته دائرة الثقافة والإعلام/م.ت.ف. (سنة ١٩٩٠؟) لتكريم بعض أعلام فلسطين. التقيا يومها في بهو الفندق وجهاً لوجه، ولم يستغرقهما سوى لحظات معدودة حتى استعاد كل منهما صورة الطفل في الآخر، وتعانقا طفلين في سن الشيخوخة، أحدهما قادم من الوطن والآخر من المنفى. وفي لحظة عناقهما الحميمة التي ازدحمت فيها عشرات السنين، اندحر المنفى وانبعثت فلسطين بكل بهائها، المرة تلو المرة، من رماد الذكريات.

سيرته الذاتية وأثاره القلمية

أولاً: السيرة الذاتية

- ولد نصري الجوزي في مدينة القدس سنة ١٩٠٨، وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة المطران المعروفة بـ "سان جورج".
- أحرز دبلوم الصحافة من لندن سنة ١٩٣٥.
- مارس مهنة التعليم (١٩٣٢ - ١٩٤٨) في عدد من مدارس فلسطين.
- كان أمين سر اتحاد المعلمين الفلسطينيين للمدارس الخاصة في فلسطين.
- أسس جمعية الفنون والتمثيل سنة ١٩٢٨، وفرقة الجوزي التمثيلية سنة ١٩٣٦.
- تولى تحرير المجلة البطيريركية للسريان الأورثوذكس في القدس، وهي مجلة تبحث في الأدب والتاريخ.
- دافع عن حقوق الطائفة الأورثوذكسية العربية، التي كان الإكليروس اليوناني يتصرف في مقدراتها من دون الاهتمام بالكهنوت العربي.
- كان رياضياً، إذ ساهم بين سنتي ١٩٢٥ و ١٩٣٠ في تأسيس النادي الرياضي العربي في القدس، وشارك في تأسيس الاتحاد العام لكرة القدم لجميع فرق فلسطين.
- هاجر بعد النكبة، مع زوجته وابنتيه آمال وسوسن، إلى سورية وتوفي فيها بتاريخ ١٧ آب/أغسطس ١٩٩٦، وكان درّس اللغتين العربية والإنكليزية في المدارس السورية حتى سنة ١٩٥٤.
- تولى الإشراف على مطبوعات مكتب الإعلام الأميركي (١٩٥٦ - ١٩٦٧). وخلال عمله هذا، أشرف على ترجمة ومراجعة ما يزيد على مئة وخمسين كتاباً في الأدب

والعلم والتاريخ والسياسة والمسرح.

ثانياً: الآثار القلمية

أ) نتاجه المسرحي:

فلسطين (١٩٣٢ - ١٩٤٨)

- ١ - جابر عثرات الكرام.
- ٢ - أنا لا أحارب من أجل عمر.
- ٣ - عيد الأم.
- ٤ - الطرف الثالث.
- ٥ - عمر بن الخطاب والعجوز.
- ٦ - صلاح الدين الأيوبي.
- ٧ - الطالب النجيب.
- ٨ - فؤاد وليلى.
- ٩ - الشموع المحترقة.
- ١٠ - عشاق التماثيل.
- ١١ - عمر بن الخطاب وفتح بيت المقدس.
- ١٢ - الحق يعلو.
- ١٣ - شبح الأحرار.
- ١٤ - نكاه القاضي.
- ١٥ - لا أبيع أرضي، أو تراث الآباء.

ب) نتاجه المسرحي (بعد النكبة)

- عيد الجلاء (جلاء الفرنسيين عن سورية: مثلت في كثير من المدارس السورية).
- فلسطين لن ننسك (أذيعت من لندن بواسطة مكتبها في بيروت).
- حطموا الأصنام (حياة عمر وصحبه قبل الإسلام)، من مطبوعات سلسلة الطلبة رقم (٢).
- وفاء الأصحاب (قصة من الأدب العربي).
- الأطفال المشردون (مسرحية للطلبة تحكي عن أطفال فلسطين ولبنان وفيتنام وروديسيا والزنوج في أميركا)، كتبت سنة ١٩٧٩ ولم تمثل حتى تاريخه.
- خمسة فصول تمثيلية للكبار (حفلة عشاء، باسم الحداد مع الخليفة الرشيد، معجون الحب، على الباغي تدور الدوائر، أمة تطلب الحياة).
- خمسة فصول مسرحية (مسرحيات قصيرة)، دمشق ١٩٧٤.

ج) كتب أخرى

- "تاريخ المسرح الفلسطيني (١٩١٨ - ١٩٤٨)" (نيقوسيا: شرق برس، ١٩٩٠).
- "تاريخ الإذاعة الفلسطينية (١٩٣٦ - ١٩٤٨)" (نيقوسيا: شرق برس، ١٩٩١).

د) القصة القصيرة

إلى جانب الكتابة للمسرح، مارس نصري الجوزي كتابة القصة القصيرة. وقد أُذيع له من الإذاعة الفلسطينية/القدس (١٩٣٦ - ١٩٤٨) عدد من القصص منه: "امرأة وامرأة"، "البطل المجهول"، "وراء الباب"، "ضغط دم"، "ذكرى وانتقام"، "عودة المغترب"، "أنا وطالبتني". ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>